

دور منظومة التكوين في تعزيز الوسطية ⁽¹⁾*

إعداد: مولود محصول

مفتش رئيسي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف
لولاية جيجل

مقدمة:

أصبح نهج الوسطية والاعتدال مطلباً كونياً ملحا تنادي به النخب الحاكمة والعامة الرشيدة، وتنشده كل الشعوب والمجتمعات في ظل موجة العنف والتطرف الحادة التي تجتاح العالم في مطلع هذا القرن الواحد والعشرين، والتي أدت إلى نشوب أزمات وحدث قلاقل وحروب داخلية ودولية وأعمال إرهابية كثيرة مست العالم أجمع.

فقد وصل العقلاء في كل دول العالم إلى قناعة بأن الوسطية باعتبارها منهجا فكريا وموقفا أخلاقيا وسلوكيا قائما على الاعتدال

في أمور الحياة كلها الدينية والفكرية والسياسية والأخلاقية والسلوكية وغيرها، هي العاصم والمخلص من كل حالات التطرف والغلو التي يعيشها العالم اليوم.

إنها بحق الثقافة الوحيدة التي من شأنها أن تزيل هذه الحالة وتعيد مناخ الاستقرار والتعايش والطمأنينة والسلام للمجتمعات والعلاقات بين بني البشر من مختلف الأعراق والأديان والمذاهب.

وتعد الوسطية من أهم القيم التي قام عليها الإسلام، وجاء لنشرها بين بني البشر، فقد جاءت نصوصه التأسيسية الأولى قرآنا وسنة

لاستمدادهم من التدين الصافي
الموصول بالنسب بالسند الصحيح إلى
صاحب الرسالة ﷺ والجيل الذي
تربى على يديه، من الصحابة الكرام.

لقد قامت هذه الفهوم والتطبيقات
على الاعتدال والتوازن وعدم الإفراط
والتفريط كما قامت على التسامح
والاعتراف بالآخر، والبعد عن التكفير
والتضليل والقتل، وتجلت هذه القيم
والمعاني في أجلى صورها وأحسن
تمثلاتها في علاقة التعايش والتعاون
بين مدارسهم وتياراتهم، هذه العلاقة
التي أثمرت عبر التاريخ السلام والوئام
والدفاع عن الأرض والعرض وبناء
الدولة.

ويرجع الاهتمام اليوم بقيمة
الوسطية والبحث عن سبل تعزيزها
وتنميتها إلى تلك المتغيرات الفكرية
والسياسية والدينية والسلوكية
التطرفية الحادة والجذرية التي بدأت
في البروز، سواء تلك التي أفرزها
الحراك الداخلي أو تلك التي أفرزها
الحراك الدولي، والتي أصبحت تهدد

ناطقة بهذه القيمة في عديد الآيات
والأحاديث يضيق المقام عن إحصائها
أو استقصائها كلها، لعل من أهمها
قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا﴾ (2)، وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا
ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (3)،
وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (4)، وقوله ﷺ:
«بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» (5) وقوله
أيضا: «أَلَا هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» (6) أي
المتشددون، كما جاءت أحكامه قائمة
على فلسفة الوسطية والاعتدال
بحيث راعت في كل شيء أبعاده
المختلفة دون إفراط ولا تفريط.

وقد كانت هذه الوسطية هي
الصبغة التي انطبعت بها فهوم
الجزائريين وتطبيقاتهم للدين عبر
التاريخ، منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم،

والحاكمة، فإنه يتطلع اليوم إلى استعادة قيمه المرجعية وتعزيز دورها وتكريس ممارستها في واقعه بصفة دائمة ومستمرة.

وعندما يتم الحديث عن إصلاح مظاهر الخلل التي قد تطرأ على أفكار أمة من الأمم أو سلوكها وأخلاقها، فإنه يتم التوجه مباشرة إلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة وفي طليعتها مؤسسات التربية والتعليم والتكوين أو منظومة التكوين، باعتبارها الجهة الرئيسية والنظامية التي أوكل إليها المجتمع مهمة المحافظة على قيمه وعاداته وتقاليده، والقيام على صياغة فكره وسلوكه وتوجيهه بما يحقق مبدأ التواصل مع الأجيال والتاريخ من جهة وتحقيق مبدأ التطور والتجديد من جهة أخرى.

ومن هنا يأتي الحديث والتساؤل عندنا اليوم عن دور منظومة التكوين في تعزيز الوسطية بمختلف مضامينها وتجلياتها.

هذا المكسب المرجعي التاريخي والثابت الثقافي والاجتماعي والحضاري الأصيل الذي وفر للأمة المزايا المنوّه بها من قبل.

ولا تغيب على علم أحد التشوهات الفكرية والثقافية والسلوكية التي أحدثتها تلك المتغيرات عند بعض الفئات الهشة ثقافيا واجتماعيا ونفسيا من أبناء المجتمع، ولا سيما الشباب منهم، حيث خلقت عند بعضهم الضبابية في النظر إلى المجتمع، فأصبحوا ينظرون إليه بمنظار الشك والريبة والاتهام في الدين والمعتقد، ويصدرون في حقه أحكام التكفير والتضليل والتفسيق، ودفعت بعضهم الآخر إلى التمرد على أعرافه وقوانينه ونظمه وكيانه السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مراحل أخرى لاحقة.

وإذا كان المجتمع قد استعاد زمام المبادرة وتمكن من استيعاب المشكلة والتغلب على تحدياتها وتداعياتها المختلفة بفضل عبقريته الذاتية وخبرته التاريخية وحكمة نخبه العاملة

01- المسلك المنهاجي:

وهو المسلك المتعلق بالبرامج والمقررات الدراسية المعتمدة كمواحد ومقاييس ومعارف للتعليم والتكوين في مختلف الأطوار الدراسية، فهذه المقررات والبرامج على ضوءها يتحدد نوع المنتج الإنساني الذي⁽⁷⁾، بتوجهه الفكري والسلوكي، فهي التي يمكنها أن تصنع لنا الإنسان الواعي المستنير والمتسامح الوسطي أو الإنسان المغلق المتطرف العنيف وغير ذلك من الأوصاف.

ويبدو لنا أن المناهج والمقررات الموجودة رغم أهميتها وفائدتها والجهود المخلصة التي بذلت وتبذل من أجل عملية تحيينها وترقيتها الدائمة والمستمرة من مرحلة إلى أخرى لم تصل بعد إلى تحقيق الهدف الكبير وهو إنتاج نموذج إنساني واع متفتح وسطي فعال يعيش عصره على أديم مصره دون أن يكون نسخة غيره - كما يقول مولود قاسم رحمه الله -

ونعتقد أن دور منظومة التكوين في تعزيز الوسطية يكون من جانبين إثنين إجمالاً، يتمثل الأول في ضخ مضمون علمي ومعرفي وثقافي معزز لقيم الوسطية في العقل والمخيال الفردي والجماعي والثاني تطبيقي يتمثل في تحويل هذا المضمون العلمي والمعرفي والثقافي إلى كفاءات ومهارات يتمثلها أفراد المجتمع ويلتزمون بها في حياتهم.

أولاً: تعزيز الوسطية عن طريق المضامين العلمية والمعرفية النظرية.

من أجل أن تساهم منظومة التكوين عندنا في تعزيز الوسطية فلا بد عليها أن تضخ مضمونا علميا ومعرفيا يخدم الوسطية، من خلال جملة العلوم والمعارف التي تعتمد عليها في تعليم أفراد المجتمع وتكوينهم وتأهيلهم ولها في ذلك ثلاثة مسالك أساسية هي: المسلك المنهاجي - المسلك البحثي - المسلك التثقيفي - وفق البيان الآتي:

والجامعة، وتقديم معارف علمية جادة عن الواقع ومستجداته وإرشاد الناس إلى حسن التعامل معه إسلامياً والعيش في انسجام مع العصر دون شعور بالعزلة أو الاغتراب.

إلى جانب رفع منسوب الوعي بالهوية والشعور بالمسؤوليات والواجبات وضرورة المشاركة في الشؤون المدنية وغيرها من القيم التي هي من مضامين الوسطية بمفهومها القرآني.

وعليه فإنه لصناعة هذا النموذج الإنساني والمجتمعي الوسطي من الضروري إدخال إصلاحات عميقة على المناهج والمقررات الدراسية وإعادة صياغتها في ضوء هذا التوجه.

وهذا يقتضي تعزيز مكانة بعض العلوم والمعارف على مستوى البرامج والمقررات الدراسية والتكوينية مع مراعاة طبيعة نوع التكوين الذي تقدمه كل مؤسسة⁽⁸⁾.

وبناء مجتمع يمتلك أسباب الأصالة والاستقلال والسيادة والريادة والمناعة الحضارية.

كل ذلك من خلال صناعة العقلية العلمية الذكية العصرية عن الاستغفال والاستدراج وتقوية المناعة الدينية لشبابنا من خطر الفكر العنيف وتكوين الوعي الديني المتقدم الذي يقيم الحياة على ميزان عدل بين الدنيا والآخرة والدين والعلم والنص والعقل والسلطان والعرفان والعمل والعبادة والحرية والمسؤولية وغيرها.

هذا إلى جانب التميز منهجياً وفقهياً ومعرفياً بين الجهاد الحربي الذي هو من مهمة الجيوش النظامية والجهاد المدني الذي هو من مهمة المدنيين في ساحات التنمية والإنتاج والتقدم الحضاري وتقليص الفوارق والحوازبين الناس وتقريب المفاهيم والخروج بالعقل الجمعي من دهاليز الفرق والمذاهب والطوائف المظلمة إلى فضائل الأخوة الإسلامية الواسعة

الأساسي لصناعة العقلية الوسطية.

3 - الانفتاح أكثر على العلوم والمعارف الاجتماعية والإنسانية مثل علم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي وحقوق الإنسان وتاريخ الجرائر الديني والثقافي والسياسي في مختلف الفترات والمراحل، وغيرها من المعارف الاجتماعية والإنسانية التي هي مفاتيح لصناعة الشخصية الوسطية.

4 - الاهتمام أكثر بالمعارف الفكرية والنظرية التي تتناول المواضيع العامة، مثل مواضيع الثقافة والحضارة والأصالة والحداثة والدين والدولة والعلمانية والعولمة وحوار الحضارات وغيرها من المعارف التي تصنع العقلية المنفتحة على العالم بثقافته ونظمه⁽¹⁰⁾.

5 - الاهتمام أكثر بالمعارف الذوقية مثل فلسفة الفن والجمال والأدب والشعر والمسرح والسينما، وغيرها من المعارف الذوقية والفنية والجمالية التي تربي الذوق وتهذب السلوك وتسمو بالأحاسيس الإنسانية وتصنع

وبالنسبة لبرامج ومقررات منظومة التكوين الديني نرى أنه من الضروري:

1 - تخصيص حيز معتبر للمباحث الجديدة في العلوم الإسلامية مثل فقه الأولويات وفقه الموازنات وفقه التنزيل وفقه السنن الكونية وفقه التغيير ومقاصد الشريعة وغيرها من أنواع الفقه، إلى جانب العلوم الكلاسيكية المعروفة مثل علوم اللسان والفقه والأصول وغيرها، فهذا من شأنه أن يقود إلى فهم أفضل للنصوص الشرعية و تطبيق أنضج لأحكامها وتوجيهاتها في الحياة⁽⁹⁾ وهو ما يعد مقوما أساسيا في صناعة فكر الوسطية.

2 - تخصيص مساحة أوسع لعلوم المناهج مثل مناهج البحث ومناهج تفسير النصوص ومناهج التفكير والتحليل والتركيب والنقد، ومناهج الدعوة والإصلاح والإفتاء وغيرها من العلوم المنهجية، فالتمكن من هذه العلوم والتحكم فيها هو الضمان

مثل البرمجة اللغوية العصبية والذكاء العاطفي والذكاء الاجتماعي ومهارات التواصل وغيرها من الموضوعات.

وليست الدعوة إلى إصلاح المناهج الدراسية وإثراء مقرراتها وبرامجها بالدعوة المشبوهة أو بالمؤامرة على الدين التي يتوجس منها أو يتخوف منها كما قد يتصور البعض، بل هي حاجة اجتماعية ودينية، هي حاجة اجتماعية لأن التعليم الديني ليس هو الدين بل هو في نهاية الأمر يرتبط بالضرورة بأهداف واستراتيجيات المجتمع ويخضع لرؤية القائمين عليه، وهو حاجة دينية لأن النبي ﷺ بشر أمته بأن الله يبعث على رأس كل مائة سن من يجدد لها أمر دينها كما ورد في الحديث.

02 - المسلك البحثي:

ونعني بالمسلك البحثي هنا الإسهام الذي يمكن أن تقوم به منظومة التكوين وفي مقدمتها الجامعة في تعزيز الوسطية عن طريق البحث العلمي

الشخصية الوسطية وتجعل المتعلم أو المتكون ينظر إلى الإنسان والكون والحياة نظرة جمالية متفتحة ومشرقة مشعة بالحب والأمل بعيدة عن التبرم والتجهم والقسوة التي صارت تطبع شخصية كثير من المتدينين وتلصق بالدين وهو منها براء.

6 - إضافة مقرر في الثقافة الإسلامية يتناول الموضوعات العامة مثل ثقافة الاختلاف والتسامح ونقد الذات وثقافة الاعتذار ونسبية المعرفة الاجتهادية، وتصحيح مفاهيم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء وفق منظور شرعي ومقاصدي صحيح، إضافة إلى فقه الانتماء وفقه الخطاب والفرق بين الدين والتدين وبين النص والتاريخ... إلخ⁽¹¹⁾.

5 - إضافة مقرر في التنمية البشرية يتضمن الموضوعات والمباحث الرئيسة فيها خاصة تلك التي لها علاقة بالتكيف الايجابي مع المجتمع

وكيف نطبقهما في علاقاتنا ومعاملاتنا مع الناس من المسلمين وغير المسلمين وهل الاستناد إلى هذا المفهوم يبرر ظاهرة كره البشر ومعاداتهم والحدود عليهم؟

أ/-4 تطبيق الشريعة: ما المراد بها، هل تقتصر على جانب الأحكام الجنائية أم هي شاملة للأحكام والقيم معا، هل الشريعة غائبة في حياة المسلمين فعلا أم هي حاضرة ويعيشها الناس لكن تحتاج فقط إلى تصحيح وترقية... الخ.

أ/-5 الدولة الإسلامية: هل هذه التسمية صحيحة، هل وصف الإسلام يلحق بالشخص الطبيعي فقط أم يلحق كذلك بالشخص المعنوي، هل الإسلام جاء بدولة من السماء وبالتالي فهي دولة الإسلام دولة الله أم أن الدولة يقيمها البشر على الأرض وهي دولتهم ولكن يجتهدون فقط في إقامتها قيم السماء، هل الدولة إلا سلامية عبارة عن نموذج تاريخي نمطي جامد أم أنها شكل متطور ومتفاعل مع علوم

سواء من خلال بحوث التخرج التي ينجزها الطلبة في مرحلة الدراسات العليا، أو البحوث التي يتم إنجازها على مستوى المخابر ومراكز البحث، فطريق البحث العلمي من أهم الطرق التي يمكن أن تسهم من خلالها منظومة التكوين في تعزيز الوسطية وهذا من خلال اشتغالها على الموضوعات التي تركز وتعزز هذه الثقافة في المجتمع.

ويمكن الإشارة هنا إلى عديد المجالات التي هي في حاجة إلى تركيز البحث فيها من أبرزها:

أ- مجال تصحيح المفاهيم مثل:

أ/-1 الجهاد: من حيث تحديد معناه، الفرق بينه وبين القتال، الفرق بينه وبين أعمال الإرهاب والقتل، من يملك صلاحية إعلانه إذا تعين... الخ؟

أ/-2 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من حيث تعريفه ومراتبه وفقه تطبيقه... الخ؟

أ/-3 الولاء والبراء من حيث معناهما

ومعارف العصر في إطار قيم الإسلام.. الخ.

أ/6- العلاقة مع الآخر غير المسلم
كيف تكون ما هي قواعدها وأحكامها
ما مدى صحة مقولة دار الإسلام ودار
الحرب هل هي قاعدة ثابتة ومطرودة
في نظرة الإسلام للعالم والعلاقات
الدولية أم هي مقولة محكومة بسياقها
التاريخي.

ب- مجال تحيين المعرفة الإسلامية
عن طريق غربة التراث وتنقيته
من المحمولات النفسية والثقافية
والاجتماعية والسياسية التي كانت
صدى للتاريخ، مثل الحديث عن
العبيد والإماء والدرهم البغلي وغيرها
من المفاهيم والمصطلحات والمحمولات
 وإعادة قراءة هذا التراث على ضوء
احتياجات الحاضر والمستقبل، وليس
على ضوء وقائع الماضي وإكراهاته.

ج- مجال الاستجابة لحاجات
المجتمع وتحقيق تطلعاته في التعليم
والصحة والاقتصاد والسلم والبيئة
النظيفة والتنمية المستدامة .. الخ.

د- مجال ملاحقة التطورات
العالمية المختلفة والإجابة على أسئلتها
وتحدياتها.

فإنجاز رصيد علمي ومعرفي كاف
حول في هذه المجالات وغيرها من شأنه
أن يساهم في توضيح الرؤية أمام
المجتمع ويجيب عن كثير من الأسئلة
التي تحير المواطن، ولاسيما الأجيال
الشابة الجديدة، وترسم أمام الجميع
المسار الآمن لكيفية التوفيق بين قيم
العصر وعلومه ومعارفه وبين قيم
الهوية والأصالة والانتماء وصناعة
حياة متوازنة وسطية.

103- المسلك التثقيفي:

ونعني بالمسلك الثقافي أو التثقيفي
جملة النشاطات والبرامج الثقافية التي
ينبغي على منظومة التكوين الأخذ بها
كمكمل لاستراتيجية التعليم والتكوين
التي تقوم بها داخل المجتمع، فربما
يكون هذا المنهج الذي يسميه بعض
الباحثين التربويين بالمنهج الخفي أبعد

أثرا في صوغ توجهات الطلبة حتى من المناهج الدراسية نفسها⁽¹²⁾.

ينتج التطرف والغلو والغربة ومعاداة الحياة.

ثانيا: تعزيز الوسطية عن طريق تكوين الكفاءات والمهارات.

ويتمثل هذا الجانب في جملة الطرق والأساليب والكيفيات والخطط والاستراتيجيات التي تمكن منظومة التكوين من نقل المعارف النظرية إلى أفراد المجتمع، وتحويلها من مجرد أفكار ونظريات إلى كفاءات ومهارات عملية ينطبع بها الأشخاص ويتعاملون بها في حياتهم.

فلا يضمن نجاعة التعليم إلا إتباع طرق وأساليب وخطط واستراتيجيات سليمة في نقل المعارف والخبرات المختلفة من المعلم إلى المتعلم.

وعليه فإن البرامج والمقررات الدراسية المراد منها تعزيز الوسطية لن تجسد هذه الوسطية إلا من خلال طرق تدريسية وأشكال تدريبية، وخطط واستراتيجيات عملية تنقلها

إن الاستثمار في هذا المسلك بقي ضعيفا على مستوى منظومة التكوين لأسباب كثيرة ومتعددة، لعل من أبرزها الاعتقاد بأن هذا النشاط هو من اختصاص الهيئات والمؤسسات الثقافية وهذا صحيح لكن غير الصحيح أنه ليس الاختصاص الحصري لها، فبإمكان جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية أن تسهم بدور في هذا المجال بما يكمل رسالتها، وهذا نظرا الدور الخطير الذي تلعبه الثقافة في حياة الفرد والمجتمع.

إنها الوصفة الضرورية لترقية الفكر وتوسيع المدارك وتقويم السلوك الأخلاقي والمدني لدى الأفراد والجماعات، وإضفاء الطابع الجمالي والحضاري على مختلف جوانب الحياة، فحضور الثقافة ينتج تدينا راشدا معتدلا وسطيا متفتحا، وغياها

والمعلمون بداية طريقة التلقين عند ظهور المدارس ثم مع تطور العلوم والمعارف في جميع الميادين وخاصة علم النفس التربوي الذي أدى إلى فهم أفضل للمتعلم، فظهرت طريقة أخرى هي طريقة التنشيط أو بيداغوجية الأهداف التي تتغيا تحقيق أهداف المجتمع، وتلبية رغباته المتزايدة ومواكبة تسارع حركية تطور العلوم والمعارف في جميع المجالات، ثم انتقلت طرق التدريس خطوة أخرى إلى الأمام بظهور طريقة التدريس بالكفاءات التي يمكن أن نقول عنها إنها أصبحت طريقة العصر، نظرا للبريق المتزايد التي تتمتع به في الأوساط التربوية في العالم⁽¹⁴⁾، ولاشك أن تطلع المعلمين وعلماء التربية الدائم والمستمر إلى تعليم أفضل سيقودهم لا محالة إلى الوصول إلى طرق وأساليب أكثر نجاعة وفعالية في المستقبل.

ومما يعد تخلفا مريعا عندنا أن الاهتمام بطرق التدريس وأساليبه

من حيز الفكر إلى حيز الواقع، ونعتقد أن منظومة التكوين يمكنها أن تصل إلى هذا المبتغى من خلال مسالك ثلاثة رئيسية هي المسلك البيداغوجي، المسلك التدريبي، المسلك التخطيطي.

01- المسلك البيداغوجي:

وهو المسلك المتعلق بطرق وأساليب التدريس ونقل المعلومات والأفكار داخل منظومة التكوين، فإن هذه الطرق والأساليب هي العنصر الحاسم في عملية توصيل المعلومات وبناء المعارف، فإذا كانت متطورة وفعالة جاءت بنتائج إيجابية وإذا كانت عكس ذلك جاءت بنتائج سلبية، فعليها تتوقف عملية الفهم والاستيعاب من عدمها، وحصول عملية التعلم من عدمها⁽¹³⁾.

ومن المفيد هنا التذكير أن طرق التدريس قد تطورت عند المعلمين والأساتذة عبر الزمن، وأخذت مسارات شتى بالموازاة مع تطور المعرفة بالإنسان والمجتمع، فقد اتبع المربون

-102 المسلك التدريبي:

ونقصد به جملة الحصص والأنشطة والدورات التطبيقية التي تهدف إلى تحويل المعارف إلى سلوكيات ومهارات عن طريق الممارس والممارسة ومحاولة تجسيد الملمح السلوكي الذي دلت عليه الأفكار والمعارف فهذا عاملاً في غاية الأهمية والخطورة في عملية التكوين والتربية، فليس التعليم مجرد حشو للرؤوس بالمعلومات والمعارف، وليس هدفه مجرد تخريج حملة شهادات أو تخريج موظفين للدولة، ولكن التعليم قبل ذلك وبعده هو تعليم الأجيال الجديدة مهارات الحياة بكل ما تعنيه الكلمة من صناعة قواعد انطلاق الأمة نحو المستقبل⁽¹⁵⁾.

ويمكن القول أن هناك إشكالية في عملية التكوين ونقل المعارف من المعلم إلى المتعلم في العالم العربي الإسلامي ومنه الجزائر، يتمثل في التركيز على الجانب المعرفي ونسيان جانب تكوين المهارة، من خلال طغيان اللفظية

لا يزال دون الاهتمام العالمي، فهي بالنسبة للمنظومة التربوية العامة أو العادية النقاش حولها يسير باحتشام، وبالنسبة لمنظومة التكوين الديني ربما لم يطرح أصلاً ولم يشرع فيه بعد، وربما لم يعقد حوله أي لقاء أو ملتقى أو حتى ورشة دراسية، وهذا تخلف كبير له أثر مباشر على مخرجات التكوين، فلا يمكن الحديث عن تعزيز الوسطية في ظل طرق تدريس تقوم على التلقين المحض الذي يلغي شخص المتعلم ولا يترك له أي هامش للمشاركة أو الحوار فضلاً عن النقد والاعتراض أو إبداء رأي مخالف.

إنه لا يمكن تعزيز الوسطية بأساليب تكوين وتعليم وتربية تقوم على الاستبداد وإلغاء الرأي الآخر وإنما يتم تعزيز الوسطية بأساليب تدريس وسطية معتدلة تعطي هامشاً واسعاً للحرية وتمنح فرص الحوار والنقاش والاختلاف والنقد وغيرها من القيم الضرورية لنجاح التعليم وازدهار المعرفة.

التي تعتمد على الإلقاء والمحاضرة من طرف واحد دون المرور إلى إشراك المتعلم في العملية التعليمية وتدريبه على محاولة تجسيد المعرفة وتمثلها، بحيث تصبح مهارة متقنة وملموسة⁽¹⁶⁾.

وهذا كان له أثر سلبي على مخرجات التكوين حيث أدى إلى تقليص الفائدة والجدوى من التعليم وتقليص الاستفادة من مخرجاته، فلم تتحول المعارف التقنية إلى مهارات ميدانية مكتسبة في أيدي المختصين والفنيين في كل مجال بالشكل المطلوب، ولم تتحول المعارف النظرية إلى مهارات حياتية تمكن الإنسان من التعامل وبعلم مع الواقع الاجتماعي، وهكذا بقي المجتمع غير متحكم بالشكل المطلوب في مجال التقنيات وفي مجال مهارات الحياة على حد سواء.

إن منظومة التكوين عندنا ومهما اجتهدت في تقديم برامج ومقررات دراسية وتكوينية حاملة لقيم الوسطية على درجة عالية من الجودة

والإتقان فإنها لن تستطيع أن تعزز مكانتها في الواقع دون التوسل ببرامج تدريبية تعمل على تحويل الأفكار والمعارف الواردة فيها إلى مهارات وسلوكات متحكم فيها عند المعنيين بها، فبغير تدريب ستبقى المعارف على مستوى الأذهان لن تجد طريقها إلى الميدان.

ويمكن أن يكون التدريب على تمثيل هذه القيم في أشكال كثيرة ومتعددة دون حصر ولا حرج، سواء في شكل حصص أو في شكل دورات أو ورشات أو ملتقيات أو مؤتمرات أو غيرها من الصيغ والأشكال دون تحديد، يتم تقديمها على يد أساتذة متمرنين أو أخصائيين نفسانيين أو تربويين أو اجتماعيين مختصين أو خبراء في مجال من المجالات المعنية، المهم ما ينبغي أن يعلم أنه لا يمكن تعزيز الوسطية من غير تدريب وتمرين وتربية، وكل محاولة للوصول إلى ذلك من غير هذا المسلك سيكون مآلها الفشل.

103-المسلك التخطيطي:

نقصد بالمسلك التخطيطي جملة الخطط والاستراتيجيات التي يجب أن تتوفر لمنظومة التكوين عندنا حتى تنجح في القيام بدور تعزيز الوسطية، وهو مسلك في غاية الأهمية فلا يمكن أن ينجح مشروع أو عمل ما دون تخطيط وتنظيم ودون إجراءات وأدوات تضبطه وترسم له المسار الصحيح نحو تحقيق الهدف.

إن القيام بوظيفة تعزيز الوسطية يقتضي من منظومة التكوين التخطيط الجيد والحساب الدقيق لكل شيء، يبدأ بدراسة المهمة وتحديد ما تتطلبه من قدرات وإمكانيات مروراً بتحديد الأهداف، والتفريق بين الأهداف القصيرة المدى والمتوسطة المدى والبعيدة المدى، إضافة إلى مرحلة العمل زمنياً ووضع جدول زمني للإنجاز لكل مرحلة، إضافة إلى وضع الاحتمالات وإعداد البدائل والسيناريوهات الضرورية للتعامل

مع كل الطوارئ والمستجدات وغيرها، فالتخطيط ضروري لإنجاز الأعمال والمشاريع المختلفة.

خاتمة:

إن ما يمكن أن نسجله في نهاية المطاف هو أن المسعى كبير وخطير وينبغي أن تجتمع عليه جميع الإرادات الخيرة والجهود المخلصة، لقد حاولنا الوقوف عند أهم العناصر والإشكاليات التي يطرحها موضوع دور منظومة التكوين في تعزيز الوسطية، بداية بأهمية موضوع الوسطية وحاجة المجتمعات إليها مروراً ببيان المكانة التي تحتلها في سلم المنظومة المعرفية والأخلاقية الإسلامية والحيز الذي شغلته في تاريخ الأمة والثقافة الجزائرية، وصولاً إلى إبراز الدور الذي يمكن أن تلعبه منظومة التكوين في تدعيمها وتعزيز مكانتها ومختلف المسالك التي يمكنها التوصل بها لبلوغ أهدافها وخلصنا إلى مجموعة من الأحكام والنتائج نشير إليها فيما يأتي:

علمها في تعزيز منهج الوسطية والاعتدال وتأمين المجتمع فكريا وثقافيا وعلاج مظاهر الغلو والتطرف المختلفة.

5 - إن منظومة التكوين عندنا في حاجة إلى تطوير مناهجها ومقرراتها العلمية والمعرفية وتكييفها مع حاجات المجتمع وخصوصا حاجته إلى تعزيز الوسطية وتحقيق الأمن الفكري والديني.

6 - إن منظومة التكوين في حاجة إلى تطوير طرق تدريسها وتنوع وسائلها وأساليبها التعليمية والبيداغوجية في نقل العلوم والمعارف والاهتمام أكثر بالأساليب التطبيقية والتدريبية التي تحول الأفكار والمعلومات إلى قناعات ومهارات.

وفي ضوء النتائج المسجلة يمكن اقتراح ما يأتي:

1- السعي للتشبيك بين المؤسسات العاملة في حقل التعليم والتكوين ولاسيما تلك الناشطة في حقل التكوين الديني.

- إن الوسطية قيمة إسلامية وإنسانية وحضارية عليا تسعى الشعوب جاهدة لتكريسها في بيئاتها وتعزيز مكانتها عند أبنائها، باعتبارها منهج حياة يضمن السلم والتعايش والعلاقات الإنسانية الطبيعية المثمرة بين بني البشر.

2 - إن الإسلام في عقائده وشرائعه وأخلاقه ونظمه وآدابه وفي كل جانب من جوانبه مبناه على الوسطية والاعتدال ومن مقاصده وأهدافه نشر ثقافة الوسطية والاعتدال.

3 - إن الثقافة الجزائرية عبر تاريخها الإسلامي والوطني الطويل اصطبغت ببصغة الوسطية والاعتدال في السلوك التعبدية والاجتماعي على حد سواء، وكل منزع للغلو أو التطرف يظهر على سلوك بعض أبنائها فهو مظهر شاذ ودخيل لا يمت إلى مرجعيتها الدينية أو تجربتها التاريخية بصلة.

4 - إن منظومة التكوين باعتبارها مؤسسة طلائعية في المجتمع يراها

العلمية والمعرفية الدراسية التي ينبغي اعتمادها في التعليم والتكوين الديني.

5- على السلطات ذات الوصاية على منظومة التكوين أن تسعى إلى تحقيق الانفتاح المعرفي على بعضها البعض، بحيث تنفتح مؤسسات التعليم العام أكثر على العلوم والمعارف الإسلامية، وتنفّح مؤسسات التعليم الديني أكثر على العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية، من أجل الوصول إلى تحقيق التوازن والوسطية في شخصية المتعلم والمتكون وتفادي كل أشكال الغلو والتطرف.

الهوامش:

1 * المحاضرة أُلقيت ضمن فعاليات الأسبوع الوطني الثامن عشر للقرآن الكريم.

2 - سورة البقرة، الآية 143.

3 - سورة القصص، الآية 77.

2- فتح نقاش واسع بين هذه المؤسسات من أجل الوصول إلى توافق حول النموذج الإنساني المراد صناعته وتكوينه.

3- تكوين لجنة مشتركة بين كل هذه المؤسسات من أجل العمل على توحيد مناهج التعليم والتكوين في كل مؤسسات التكوين الديني، لا فرق في ذلك بين المؤسسات الرسمية والمؤسسات المدنية أو الأهلية، إذ لا يعقل أن نعمل كلنا من أجل تكوين إنسان جزائري ونطلق من منطلقات مختلفة وأحيانا متناقضة في تحديد ملامحه.

4 - قيام وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بتوسيع عملية التنسيق والتشاور مع كل القطاعات والمؤسسات ذات الصلة بالتعليم والتكوين والتنشئة الاجتماعية، وخصوصا قطاعي التربية والتعليم العالي من أجل الوصول إلى رؤيا مشتركة حول المناهج والمضامين

- 4 - سورة الفرقان، الآية 67.
- 5 - مسند أحمد مخرجا (623 / 36) ح (22291).
- 6 - مسند أحمد مخرجا (167 / 6) ح (3655).
- 7 - محصول (مولود)، المرجعية الدينية الجزائرية وأسئلة المرحلة، ط1، أوراق ثقافية، جيجل (الجزائر)، 2015م، ص179.
- 8 - هويدي (عبد الباسط)، وحوامدي (الساسي)، المناهج التربوية ودورها في تنمية قيم المواطنة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد15، مارس 2016، ص52.
- 9 - محصول (مولود)، المرجع السابق، ص181.
- 10 - محصول (مولود)، المرجع السابق، ص79-82.
- 11 - الأنصاري (عبد الحميد)، التعليم الديني ومتطلبات المستقبل، مجلة أكاديميا، العدد5، مايو/ يونيو 2010م. Ecssr.com
- 12 - الأشقر (جمال)، التعليم الخفي وأثره في تشكيل شخصية الطالب، www.alrai.com تاريخ الدخول 20/12/2016م.
- 13 - محصول (مولود)، المرجع السابق، ص183.
- 14 - أوحيدة (علي)، التدريس الفعال، ط1، ص19-20.
- 15 - النجار (لبيبة السيد)، التعليم الديني في الأزهر عوائق ومحددات، كتاب صناعة المفتي (التعليم الديني)، مركز المسار للدراسات والبحوث، ص9-10.
- 16 - الصمدي (خالد)، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، كتاب أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، سلسلة حوارات لقرن جديد، دارالفكر المعاصر، 2007م، ص75-76.